

لقاء قناة المنار بالدكتور إبراهيم الجعفري
2010/3/3
(لماذا نذهب للانتخابات)

المقدم: لماذا هذه الأهمية للانتخابات، ولماذا يُعتبر هذا الاستحقاق الانتخابي حاسماً ومفصلياً؟

الجعفري: أما أن تكتسب الانتخابات أهمية خاصة في هذه الدورة بالذات؛ فلأنها تشكل منعطفاً سياسياً حاداً نحو المستقبل، وللظروف والتحديات التي أحاطت العملية السياسية في العراق..

كل محطة انتخابات تمثل درجة على سُلّم الصعود، لكنّ هذه الانتخابات أحاطتها، واكتنفتها الكثير من المشاكل والملاбسات؛ لأنّ هناك مجموعة من الأهداف المعطّلة منذ زمن بعيد اتفقت عليها الفرق السياسية المختلفة، لكنها لم تنزل مُعطّلة، وهناك الكثير من التحديات بدأت تتفاقم، منها: استئراء الفساد في أجهزة الدولة، كما استجدّ عامل آخر وهو إعادة حزب البعث بشكل سافر كحزب وليس كأفراد إلى العملية السياسية، هذا على المستوى الداخلي، على المستوى الخارجي إقليميّاً أو دولياً أثبت الوضع السياسي أن العراق بمقدار ما يتأثر بالتغيرات الإقليمية والدولية يملك ناصية التأثير في هذه الدول مهما كانت بعيدة عن أرض العراق، ودونك ما حصل من تبدّلات في عمق الإدارات الأميركية والبريطانية والأسترالية والاسبانية والإيطالية هذه دول التحالف تبدّلت بسبب المخاضات التي حصلت داخل العراق، وتركت آثارها وانعكاساتها على هذه الدول، وغيّرت رؤساء الحكومات بشكل غير مأسوف عليه؛ لأنهم لم يُحسِنوا، ولم يُجيدوا فنّ التعامل.

المقدم: هناك استطلاعات للرأي تشير إلى أن الناخب العراقي في هذا الانتخابات غير متحمّس كما في الانتخابات السابقة للذهاب إلى صناديق الاقتراع؟

الجعفري: من جملة التحديات التي تواجهها عملية الانتخابات هو (المافيات) ذات البُعد الخارجي والضاربة في العمق العراقي التي تحاول بطريقة أو أخرى أن تشيع ثقافة اليأس من خلال بعض الإسقاطات التنفيذية في هذه المؤسسة أو تلك لغلق الطريق أمام الشعب، فيتبجّحون بأن الانتخابات السابقة لم تأتِ لنا بالأكفاء والجديرين ممن يتحملون مسؤولية تقديم الخدمات في أكمل وجه إلى المواطن..

هؤلاء يحاولون أن يُثَنوا الشعب عن مواصلة مسيرته بدلاً من أن يقاطع الفساد يقاطع الانتخابات، وبدلاً من أن يشدّ العزم والتحرّي والبحث عن المناهج والبرامج والشخصيات القوية من الرجال والنساء، وأكثرهم يحاولون أن يقلبوا المعادلة بثقافة الظلام.

المقدم: هناك استطلاعات تشير إلى تقدّم قائمة الرئيس المالكي على الوطني العراقي والقائمة العراقية، علماً أن الانتخابات الأخيرة للمحافظات جاءت بنتائج تقدّم المالكي، هل تأخذون هذه الاستطلاعات على محمل الجدّ، وكيف تقرؤونها؟

الجعفري: الاستطلاع مبدأ حضاري وعلمي، وينمّ عن وعي.. أما أن يحصل تزيف في الاستطلاع أو تزيف في الانتخابات فهذا لا يعني أننا نُسقط مبدأ الاستطلاع أو مبدأ الانتخاب مثلما حصل في بعض مواسم الانتخابات من حالات تزيف.. نحن لم نخاصم الانتخابات لكن عملنا من أجل عدم تكرار عملية تزيفها. استطلاعات الرأي مرة تأخذ صفة علمية موضوعية وأخرى تأخذ صفة احترافية مقبولة تحاول عن طريق الاستجداء أو الإملاء أن تعطي قراءة معيّنة. نحن نبارك لكل من يصل إلى سدة المسؤولية من موقع كفاءته الوطنية ونزاهته وصدقه وتفانيه من أجل شعبه، ولا ندّعي أن هذه حكر على هذه الجهة أو تلك الجهة، لكن أحب أن أقول: إن بعض استطلاعات الرأي تثير السخرية، والضحك عندما تتحدث بالنسبة لهذا الطرف أو ذاك، فالانتخابات إذا ما بقيت بعيدة عن يد السوء وقبل ونبارك كل ما يختاره شعبنا، ونفرح لفرح شعبنا وإن كانت مختلفة مع خيار اتنا.

المقدم: وما الذي يدفع الناخب إلى صناديق الاقتراع، وما الخيارات، هل هي سياسية، أم اجتماعية، أم البُعد الطائفي، ما الذي سيحرّك الناخب العراقي برأيكم؟

الجعفري: ما يحرّك الناخب أو المواطن العراقي للانتخابات هو إنها البديل الشرعي للدكتاتورية، ومن الطبيعي أن يلتزم بالانتخابات كجزء مهم من أجزاء الديمقراطية؛ ولأنه خاضع النعرة الطائفية والاحتراب الطائفي فعليه أن يفتح على الانتخابات ليجد الأكفأ، ويحارب الإرهاب والفساد والفاستدين، ويعقد العزم على أن يختار المنهج الأصح والشخصيات الأصح والأبعد عن النعرة الطائفية والأبعد عن الإفساد والإرهاب والقتل والدكتاتورية والنزعة الفردية فمن الطبيعي أن شعباً يحمل مثل هذا الطموحات، ويشخص هذه التحديات أن يسلك سلوكاً حضارياً عن طريق الانتخابات فيُدلي بصوته، ويختار من يعتقد بهم.

المقدم: من الآن حتى موعد الانتخابات النيابية ألا تخشون من التفجيرات الأمنية التي قد تطيح بهذا الاستحقاق؟

الجعفري: هذا الهاجس موجود، لكن شعبنا لم ولن يتردد في مواصلة عملية الانتخابات، وصناعة الغد القريب بإرادة قوية ووعي وعزيمة عالية وحضور انتخابي كما هو عهدنا به في عام 2005 عام الانتخابات، العام الذي شهد في مسرح العراق ثلاثة مواسم انتخابية منقطعة النظير تجاوزت الـ 12 مليون ناخب.

الهاجس الأمني لم ولن يُثنى الشعب عن مواصلة مسيرته وصناعة الانتخابات، هذا أولاً وثانياً على قوائنا المسلحة أن ترتقي إلى مستوى الأمانة والشجاعة، وما يتطلع له شعبنا العراقي بأن يزودوا من أجل إنجاح العملية السياسية العراقية، ويكونوا كما عهدنا بهم عيناً ساهرة وحاضرة في كل المناطق، وأرجو من أبناء الشعب أن يتجاوبوا، ويتعاونوا مع أبناء القوات المسلحة من دون أن يميّزوا بين أحد وآخر لتوفير الغطاء الأمني المطلوب لإنجاح العملية الديمقراطية.

أحب أن أقول لكل من غرّتهم الأموال والنزعات الشاذة والثقافة المنحرفة: عودوا إلى ضمائرهم بدلاً من أن تخططوا للتفجير.. عودوا إلى ضمائرهم وانتخبوا من تعتقدون بكفاءته.. عودوا إلى أحضان شعبكم ليبادلکم الشعور نفسه.

المقدم: لكن هناك تهديدات واضحة من قبل تنظيم القاعدة في استهداف الانتخابات تحديداً، ألا تعتقد أن هذا سيؤثر في إقبال المواطنين على الانتخابات أم إن هذه التهديدات لسحب البساط من تحت إنجازات المالكي؟

الجعفري: هذه التخرّصات وهذه التهديدات ليست جديدة وهي ليست موجّهة إلى شخص بمقدار ما هي مهدّدة للهوية الوطنية العراقية بكل طوائفها واتجاهاتها السياسية وقومياتها.

فهذا التهديد والجهة التي تقف خلفه عديمة الهوية؛ لأن الإرهاب لا هوية له، ولا دين له، ولا مذهب له، ولا وطنية له، وإن كان ثمة عامل مشترك آخر يجمعنا جميعاً فهو مواجهة الإرهاب وتحاشي التحديات الإرهابية حتى إذا جزأ الإرهابيون أهدافهم في الأشخاص ومواطن التفجير فهم في العمق ضد كل إنسان وطني في أي موقع من المواقع.. ضد أي قيمة وطنية؛ لأنهم جنحوا إلى الانحراف، ومن يجنح إلى الانحراف يخرج عن جادة الاستقامة، ولا يبقى أمامه أحد..

وعلى الرغم من ذلك إلا أن الشعب العراقي لن ينحني، ولن ينتهي أمام هؤلاء، والذين يرتقون إلى مستوى المسؤولية يجب أن يبرهنوا أنهم يتحلون بالوطنية ويعبرون عن وطنية أبنائنا في الحجم الكامل.

المقدم: موضوع المساءلة والعدالة وإبعاد مرشحين عن الانتخابات.. ألا تعتقد أن في هذا الموضوع شيئاً من الكيدية السياسية، أي إن هيئة المساءلة والعدالة تضم مرشحين للانتخابات وفي الوقت ذاته تستبعد مرشحين منافسين؟

الجعفري: هيئة المساءلة والعدالة هيئة مهنية حرفية تمارس دورها ضمن اختصاصاتها تحت غطاء البرلمان، وتتمتع بصلاحيات دستورية معيّنة، ولا ربط لها بالعملية الانتخابية من الناحية السياسية، إنما تمارس دورها من الناحية القانونية، والتوقييت الذي دخلت فيه هو التوقييت الانتخابي، والمفوضية أداة تطبّق ما تقوله لنا هيئة المساءلة والعدالة، ولا يمكن أن نتهمها بالطائفية لأن الشيعة المفصولين أكثر من السنة، بنحو ثلثين أو أكثر.

العراق بين خيارين بين أن تبقى ظاهرة الدم والقتل وما شاكل ذلك، وبين أن يستتب الأمن.

المقدم: كيف تقرأ خطوة إعادة عشرين ألف ضابط من الجيش السابق في هذا التوقيت بالذات؟

الجعفري: أنا مع اعتماد وتوظيف أكبر عدد ممكن من أصحاب الشهادات والخبرة والموظفين في كل مرافق الدولة من دون استثناء، لكن لا أعتقد أن التوقيت مناسب؛ لأن عملية إعادة هذا الرقم الكبير تحتاج وقتاً كافياً، وينبغي أن يكون هذا الإجراء في زمن غير الزمن الانتخابي، أو قبل هذا الوقت بكثير؛ لإجراء عمليات التمهيد والتتبع من كفاءتهم وإعطائهم حقوقهم المشروعة وتوظيفهم. الناظر من الخارج يقرأ الأمر بأنه لم يأخذ وقتاً كافياً من التدقيق والدراسة، وقد يشعر أنه صفقة انتخابية، لكن الإجراء من الناحية الشكلية صحيح ولكنه متأخر، وكان المفروض أن يحدث قبل هذا الوقت، وينبغي أن يكون العدد أكبر من هذا.

المقدم: كل قائمة انتخابية تتحدث عن الخدمات وتجعلها من الأولويات، ما الذي يميز برنامج الائتلاف الوطني العراقي في هذا الإطار، وما هي النكهة المميزة التي تدفع الناخب إلى اختيار هذه القائمة، وهذا البرنامج؟

الجعفري: المشتركات والتشابه بين القوائم المختلفة دليل قوة وليس دليل ضعف، ويدل على أن الجميع يشخصون ذلك، ويحملون وعياً مشتركاً لهذه الأهداف، والكرة الآن في ملعب الناخب فهو الذي يقيم؛ لأنه ليس في بداية الطريق، وعليه أن ينظر إلى السنوات السبع الماضية، وما أثبتت التجربة.

إذن دخول الانتخابات ليس فقط النظر من خلال مدّعي البرنامج، وإن كان مهماً جداً والمدّعون كثر، لكن مدى صدقية صاحب البرنامج من جانب، والأولويات من جانب آخر.

كل هذه العوامل هي المائز للقوائم، كما أننا لا ندّعي أن قائمة واحدة احتكرت الأكفاء والصالحين والبقية كلهم ضعاف وفاسدون، نعوذ بالله وهذا الكلام غير صحيح.

المقدم: إلى أي حدّ تراجع تأثير النفوذ الأميركي في القرارات السياسية العراقية، أم إنه تراجع في الاهتمام الأميركي أصلاً بالشأن العراقي؟

الجعفري: الإدارات الأجنبية تدخلت في بلداننا عموماً وليس في العراق فقط، وهو ظاهرة مرفوضة وناشر في العُرف الديمقراطي..

أن تكون لنا علاقة مع هذه الدولة وتلك مَبْنِيَة على مصالح ومخاطر مشتركة فلا ضير في ذلك، اما إذا انطوت على تدخل ومحاولات تسيّد تخذش السيادة والعمل الديمقراطي فنحن لا نسمح لأحد بأن يقوم بهذا الأمر، ولا نفتح له المجال..

الشعب العراقي مسالم، ويريد أن يبني بالبلد وفق مصالح وطنية شأنه شأن بقية شعوب العالم، فينبغي على دول الجوار والإقليم أن تتعاون معنا؛ حتى يبرهنوا أنهم يحترمون الديمقراطية..

فالديمقراطية ليست قدراً أميركياً أو قدراً بريطانياً أو قدراً اسبانياً إنما هي قدر إنساني ومن يحترم الديمقراطية يحترم إرادة الشعوب من دون فرق بين شعب وآخر، نعم.. قد تختلف الحكومات والاتجاهات السياسية، لكن يبقى الاحترام سجيّة إنسانية يتفق عليها جميع البشر.

المقدم: هل تعتقد أن هناك تدخلات لجهات إقليمية ولدول الجوار والدول الخليجية.. وهل لها تأثير في المشهد الانتخابي ونتائجه؟

الجعفري: لا نستطيع أن ندّعي أننا ننفي التدخل، فهو موجود مادام هناك مُعطٍ سيء، وهناك مُتلق سيء وتكون الظروف صعبة كالتّي يمرّ بها العراق، فحتى نرتقي من الوضع الذي نحن فيه الآن، ونُحدث فرقاً نوعياً واعياً علينا أن نرفض التدخل الإقليمي والدولي، وأنا بدأت ألاحظ تغييراً في الخطاب السياسي العراقي.

أعتقد أن الإرادة الوطنية لدى شعبنا بدأت تنقوى وكذا وعيه وكذا القوى السياسية التي ارتقت سلّم النضج السياسي، وتشعر أنه ينبغي أن تُمدّد الجسور مع القوى الأخرى.

الذين يراهنون على دوائر المخابرات الدولية والإقليمية عليهم أن يراجعوا أنفسهم، وأن يبدأوا صفحة جديدة فقيمة كل وطني وكل حزب وكل قائمة مُستمدّة من مقدار التزامها بإرادة الشعب وتمثيله بأمانة.

المقدم: ماذا عن الحكومة المقبلة، هل ستكون من قائمة الائتلاف الوطني العراقي، وهل تم الاتفاق على شكل الحكومة، ومن سيكون مرشّح الائتلاف لرئاستها؟

الجعفري: لم يكن هناك أي حوار على مستوى الائتلاف الوطني العراقي لاختيار رئيس للوزراء أو حتى رئيس للائتلاف، ومن يدّعي ذلك إما أن يكذب وإما أنه جاهل.. هذه رسالة مفتوحة أوجهها من خلالكم، ولا ينبغي أن يدّعي أحد أن أطراف الائتلاف اجتمعت، وقررت فلاناً أو فلاناً، أما من يتمنى، ويرتبط بطرف وهذا الطرف يقول عن نفسه فهذا شيء يخصه، ولا نمنعه، لكن الائتلاف الوطني العراقي بقواه المتعددة غير مسؤول عن كل هذه التصريحات، وقد ترك هذا للوقت المناسب وعندما يقرّر، ويتداول، سيعلم ذلك من دون خجل أو حياء.

المقدم: هل صحيح أن الولايات المتحدة الأميركية تضع فيتو على اسم إبراهيم الجعفري لرئاسة الحكومة؟

الجعفري: لا يحتاج إلى جدول لو غارتمات، ولا مجهر مكرسكوب.. الحماقة التي ارتكبتها الإدارة السابقة أصبحت واضحة كالشمس في رابعة النهار.. ارتكبوا حماقة، وعرفوا ما فعل بهم شعبهم، هم أو البريطانيون أو بقية دول التحالف.. نحن لا نستوحي قبولنا المسؤولية من خلال هذه الإدارة أو الإدارة البريطانية أو أي إدارة في العالم الإقليمية كانت أو دولية..

لتسمع إدارات العالم: نحن كنا شباباً ومراهقين، ولم نبيع أنفسنا ومبادئنا لأحد.. الآن وقد دخلت في العقد السابع من العمر لن أبيع بلدي للأميركا أو بريطانيا أو اسبانيا أو إيطاليا أو أي إدارة أخرى بحفنة أشهر أو سنوات حتى أحكم، لن يكون ذلك أبداً.. لكني أقول شيئاً آخر: نحن نريد أن نمذّ الجسور مع دول العالم من موقع الثقة، ونتبادل المصالح، وننسج علاقتنا معهم على نظرية سياسية تتضمن المصالح المشتركة، والمخاطر المشتركة، والمصادر الحيوية، والثقافة، والعولمة من منظور حضاري جديد.

المقدم: من الذي سيقرّر هوية رئيس حكومة العراق، علماً أنك تقول: لا تدخلات خارجية، ولن تؤثر هذه في تسمية رئيس الحكومة، ومن الذي سيقرّر، وكيف؟

الجعفري: الكتلة التي يكون من حقها أن تختار رئيس الوزراء هي التي سنتحاور، وهذه هي المعايير، أن يكون وطنياً ينظرون إلى تاريخه وحاضره وتجربته وكفاءاته الأخرى بشجاعته وطريقة إدارته العمل في البلد وطريقة تعامله مع الأطراف الأخرى، كلها معايير وطنية وعلى هذا الأساس يتم اختياره.

المقدم: في هذه الأثناء تتأهب القوات الأميركية للانسحاب من العراق، وهناك من يقول: إن هذا الفراغ ستملأه إيران عن طريق حلفائها، وهي من تحدّد هوية رئيس الحكومة القادم؟

الجعفري: أعتقد أن ما تتمناه إيران هو أن تتجنب المآسي التي حصلت في تاريخ الجوار العراقي - الإيراني سابقاً، وهذا يمكن أن نضمنه لها؛ لأننا لسنا دولة عدوانية، كما نضمن للسعودية أننا لسنا دولة عدوانية، وللكويت كذلك؛ لأن هاتين الدولتين تعرضتا إلى الحرب.

أما أن يتدخل أحد، ويفرض علينا حكومة، فلسنا مع أي حكومة لم يُنجبها شعبنا، وهذا موقفنا الثابت.. الشعب العراقي هو الذي يختار حكومته، ويقرّر دستوره، ويرسم تراتبيته في كل دوائر الدولة، ولن نسمح لأحد بأن يتدخل في شؤوننا، ثم ما مصلحة إيران أو تركيا أو السعودية أو الأردن أو سورية أو الكويت، من التدخل في تشكيل الحكومة، ونحن لم نتدخل في شؤونهم.

المقدم: ماذا عن علاقة العراق بدول الجوار.. هل هو في عزلة؟

الجعفري: أن يعيش العراق في عزلة فهذا لا يحتاج إلى حنكة في التحليل، وهو واضح لتعدد الأزمات مع دول الجوار.. يجب أن نعلم إلى حلها وتحويلها إلى علاقات مجسرة ومترابطة، ونمد الجسور والعلاقات بيننا وبينهم.

علاقتنا مع دول الجوار الجغرافي تحكمها مجموعة حقائق جغرافية وتاريخية ومصالح حيوية وأخطار مشتركة، تركيا مثلاً لها مصلحة في العراق ونحن لنا مصالح معها، فلعينا أن نجسّر العلاقة بيننا وبينها من خلال مراعاة المصالح وتأمينها، وكذا إيران لديها قلق وخطر من العراق ونحن أيضاً لنا خطر لا نريد أن يأتينا من إيران، فنزرع فتيل المخاطر المشتركة، ونحقق مصالح مشتركة، وقل مثل ذلك في السعودية وما شاكل ذلك. العراق ليس في أزمة تنظير للعلاقات، كما أنه ليس في أزمة تطبيق فلدينا مواهب، وشخصيات تستطيع حل أي مشكلة، وتذهب إلى أي دولة وتصدح بصوت عالٍ.

المقدم: ولكن لماذا لا نسمع صدى للخطاب الرسمي العراقي في أروقة المملكة العربية السعودية.. لأي سبب؟

الجعفري: خطاب الحكومة العراقية لم يستطع نزع فتيل الأزمات بيننا وبين دول السعودية وتركيا وإيران والدول كافة، لكن لا يحق لأي أحد أن يكون بديلاً عن الحكومة العراقية، ويدخل في صفقات.. من يُرد أن يتحدث للعراق فليحدث بالسياقات والخطاب السياسي العراقي العلني.

لا نريد أن تتحرك الجهود إلى الخارج من دون تمثيل بخطاب وطني يخدم الدولة العراقية كأن الدولة العراقية هي التي تتكلم، لا أن ننكفئ، ونخطط في غرف ظلماء بحجة أن لدينا ملاحظات، وأن الحكومة لديها أزمات. لا تتحل الأزمة بكارثة..

أنصح كل من لديه رصيد في الخارج أن يوظفه لخدمة القضية العراقية، ولا ينشر غسيل الخلافات والمشاكل بدعوى أن الحكومة لديها مشاكل، وينحني أمام إرادات الأجانب إقليمياً كان أو دولياً.

المقدم: أي عراق سيولد بعد هذه الانتخابات.. هل ستشكل هذه الانتخابات جسر عبور للعراق نحو عراق آمن ومستقر؟

الجعفري: سيولد عراق صانع للأمن، والعراق قادر على أن يصنع الأمن والازدهار الاقتصادي، ويصنع استقلالاً سياسياً، ويصنع طمأنينة وثقافة واسعة، وهذه لا تأتي جاهزة أو مستوردة من الخارج، إنما تأتي من خلال شخصيات التصدي التي تتمتع بقابليات وإمكانات ممتازة.

إذا استتب الأمن يزدهر الاقتصاد والسياسة، ويستقل العراق، وتتحقق السيادة، ويتماسك المجتمع.. أعتقد أن العراق صاعد لامحالة؛ لأن كل مستلزمات الصعود متوافرة فيه.